مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والانسانية
EL - HAKIKA (the Truth)
Journal for Social and Human Sciences

المجلد: 22 / العدد: 02 / السنة: 2023 ص ص:509-534

استكشاف الضابط الفرنسي لويس فوانو لمنطقة أقبلي في القرن 19م من خلال كتابه le Tidikelt

"French officer Louis Voinot exploration of the Akabli Region in the 19th century, AD his book" le Tidikelt"

ليلى ابلالي [1*]،د.أحمد بوسعيد[2]

[1] جامعة أدرار (الجزائر)، Bla.leila@univ-adrar.edu.dz

[2] جامعة أدرار (الجزائر)، ahm.boussaid@univ-adrar.edu.dz

مخبر الانتماء: مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا، جامعة أدرار

تاريخ الاستلام: 2023/04/10 تاريخ القبول: 2023/06/01 تاريخ النشر: 2023/06/16

ملخص:

نال تاريخ منطقة تيديكلت بتوات اهتمام عديد الفرنسيين وغيرهم طوال القرن التاسع عشر ميلادي؛ لما للإقليم من علاقة متميزة بباقي الجوار، وما يزخر به من مؤهلات جعلته محط أنظار وأطماع المستعمر الفرنسي. هذا الأخير الذي لم يتمكن من سبر أغواره إلا مع مطلع القرن العشرين (1900م)، تجلى ذلك في بسط سيطرته على كامل حواضره؛ إذ لم يكتفِ بكتابة تقارير عمليات الإخضاع تلك، بل دونها في كتب تضمنت مختلف الملاحظات والمعلومات التي لفتت انتباه ضباطه ومكتشفيه وحظيت باهتمامهم.الضابط لويس فوانو Louis Voinot أحد الأوائل الذين كتبوا عن الإقليم وحواضره خصوصا أقبلي باعتبارها إحدى واحاته المهمة بعد عاصمته عين صالح، لذلك جاءت كتابته مستفيضة عنها.

في هذه الورقة البحثية سنحاول استقراء ودراسة أهم ما جاء في كتابه المعنون بـ «le Tidikelt étude sur la géographie l'histoire, les mœurs du pays»، حول جغرافية وتاريخ وتراث منطقة أقبلي؛ وبغض النظر عن الدافع الاستعماري البحت، تعرض فوانو لتاريخ المنطقة وأحوالها بشيء من التفصيل كونه اعتمد في جمع معظمها على المشاهدة والمعاينة الميدانية وحتى المصادر المحلية، لتتحول كتاباته إلى مراجع ليس فقط للسلطة الفرنسية آنذاك لإحكام قبضتها؛ بل ولتاريخ المنطقة إلى يومنا هذا.

الكلمات المفتاحية: أقبلي؛ لويس فوانو؛ تيديكلت؛ الاستكشاف الفرنسي؛ طرق القوافل.

*المؤلف المرسل

Abstract:

The history of the Tidikelt region of Touat has got attention of the French and others throughout the nineteenth century AD; for it deserves a distinguished relationship with the rest of the neighborhood, and what abounds in qualifications that drove it the focus of the attention and ambitions of the French colonizer. The beginning of the twentieth century (1900 AD). Not only he wrote the reports of those subjugations, but he wrote them down in books that included various information that caught the attention of his officers and discoverers and gained their attention. Officer, Luis Voinot, one of the first to write about the region and its metropolises, especially for some of them and its important oasis after its capital, because he wrote extensively about it. In this research paper, we will try to extrapolate and study the most important contents of his book "le Tidikelt etude sur la géographie l'histoire, les murs du pays", about the geography and history of the town of Akabli; Regardless of the colonial impulse, not only did the French power Anne to tighten its grip; and the history of the region to this day.

Keywords: Akabli - Louis Voinot-le Tidikelt-The French exploration - caravans roads.

مقدمة:

تعد أقبلي من الحواضر الصحراوية التي كانت محل اهتمام المستكشفين والضباط الفرنسيين، شهدت عدة محاولات لاختراقها نهاية القرن 19 وبداية القرن20م؛أي فترة التفكير الجدي في احتلال الصحراء وبسط السيطرة عليها، لعل أنجحها استكشافات الضابط فوانوLouis Voinotتزامناً والإخضاع النهائي لإقليم تيديكلت عموما على اثر حملة فلامون العلمية "flamand" التي سرعان ما تحولت إلى حملة عسكرية عند وصولها لأولى قصور عين صالح. فلويس فوانو من الفرنسيين الذين كان لهم السبق في الكتابة عن تيديكلت عموما وأقبلي خصوصا؛ ما يخص جغرافيتها وسكانها مطلع القرن20م. جمع تقاريره في كتابه المعنون ب: «le Tidikelt étude sur la géographie l'histoire, les mœurs du pays»

فكيف كانت نظرة فوانو في كتابه حول جوانب الحياة باقبلي؟ وهل يمكن اعتبار ما دونه مهم في معرفة تاريخ المنطقة من منطلق الآليات التي اعتمد عليها في كتابته ؟

وفق ما سبق تهدف الورقة البحثية إلى استقراء ودراسة أهم ما جاء في كتاب فوانو حول جغرافية وتاريخ وتراث حاضرة أقبلي مطلع القرن العشرين.

متبعين المنهج التاريخي، معتمدين على عناصر الخطة الآتية:

-مقدمة -التعريف بالضابط لويس فوانو- دواعي التأليف وظروفه عند فوانو- اقبلي في كتاب فوانو(جغرافيا-تاريخيا- اقتصاديا- اجتماعيا-ثقافيا)- خاتمة.

1. **تعريف الضابط لويس فوانو:**

نظرا لشح المصادر والمراجع حول الشخصية سنكتفي بتعريفه بناء على ما ورد في مقدمة كتابه من طرف "Jean Charles Humbert"، فهو من مواليد 1869م بمدينة "ليون" lion الفرنسية، انخرط في الجندية كمتطوع في العام 1888م ليرسل بعدها بناء على طلبه الى الجزائر سنة 1898م. فاشتغل ملازم في مجموعة البطاريات المركبة لفرقة الجزائر لمدة 13 عاما. وفي إطار التفكير الجدي في احتلال إقليم تيديكلت(**1**) أرسلته السلطات الفرنسية نحوها كرجل مدفعية أين بذل قصارى جهده خدمة للمشروع الفرنسي التوسعي.(**Voinot**, **1909**, **p**. **1**)

فبعد سقوط واحة اقسطن(**2**) في 29 ديسمبر 1899م على اثر اصطدامها ببعثة فلامون العلمية المدعومة عسكريا، واجتياح العاصمة عين صالح تولى فوانو مهمة رفع العلم الفرنسي على أحد أبراج قصبة أولاد باجودة ، فكان من الأوائل الذين دخلوها رفقة رجاله تأكيداً لنجاح الحملة التوسعية، كما تولى قيادة فرقة الجزء الجبلي للمدفعية الثانية عشر التي حاصرت قصر اينغر في 18 مارس 1900م وقامت صبيحة اليوم الموالي بطلق 130 قذيفة على قصباتها، (**Voinot**, **1909**, **p**. **1**) أين أصيب الملازم فوانو برصاصة على مستوى الفخذ من طرف الشجعان الأشاوس من أبناء المنطقة. (**صلاح الدين، د.س، صفحة 3**).

نال وسام جوقة الشرف نظير ما قدمه بتيديكلت؛ فقد شارك في المعارك الثلاث (اقسطن، الدغامشة، اينغر) مظهرا تفانيه في خدمة المشروع الفرنسي التوسعي، ليتم تعيينه عام 1902م في حامية الصحراء بتيديكلت " Compagnie Saharienne du Tidikelt"توطيدا لبقائها بالمنطقة.

استطاع فوانو فترة وجوده وإشرافه على غزو إقليم تيديكلت القيام بعديد الاستطلاعات والجولات عبر كامل المناطق المتاخمة للإقليم من 1903م الى 1906م؛ بدء باستطلاع الجزء الغربي من هضبة المويدر، بعدها ناحية أيقلي وجنوب بوعنان ما بين 1904-1905م وأخيرا استطاع ان يتعرف على أقبلي والحوض العلوي لإيغاغار وأهقار وأهنت، انتهت جولته في جوان 1906م بمقابلة شارل دي فوكو "Charles de Foucauld"(أليسوع الصغير). ليكون بذلك قد قطع مسافة حوالي 1600 كيلومتر من المسارات الشخصية ناحية الجنوب الشرقي. (**Voinot**, **1909**, **p. 1**)

قدم من خلالها تقارير مفصلة؛ امتازت بدقة الملاحظات ونوعية المعلومات التي جمعها والعمل المنجز عززها بخرائط للمناطق والطرق، لينتقل بعدها في سبتمبر 1906م الى الغرب الجزائري أين تم تعيينه في المكتب العربي بمغنية شارك أثنائها في العمليات العسكرية التي نفذت ضد بني سناسن من أكتوبر إلى ديسمبر 1907م.

تقلّد عدة رتب عسكرية؛ ففي مارس 1908 تمت ترقيته إلى رتبة نقيب، وهو العام الذي انتقل فيه الى المغرب الأقصى أين عين رئيس لمكتب مدينة وجدة، شارك في العمليات المختلفة التي جرت على الحدود المغربية لا سيما عام 1916م، توجه بعدها إلى الجبهة الفرنسية في شامبين ثم الى اللورين وكذا الألزاس في حربها ضد ألمانيا.

عين قائدا لدائرة مراكش بعد عودته للمغرب عام 1925م، بقي هناك حتى ديسمبر 1927م وهي سنة تقاعده، تمت ترقيته إلى رتبة عقيد احتياطي في عام1930م.

كرس الكولونيل فوانو نفسه ووقته وخبرته للعديد من الدراسات حول الصحراء الجزائرية والمغرب؛فقد جمع بين القلم والجندية، ففي فترة تخليه عن واجباته العسكرية مؤقتا استطاع ان يقدم أعمال كثيرة اعتبرتها الإدارة الاستعمارية أهم ما تحصلت عليه بخصوص النواحي التي استطلع عليها، امتاز جلها بدقة المعلومات المتحصل عليها طبيعيا وإثنوغرافيا وحتى عسكريا أبرزها:

(**العمليات في الواحات الصحراوية واستخدام الأصداف الطويلة**)الصادر عام 1902، (**عبر المويدير**) عام 1904م، (**استطلاع حوض إغاغار الأعلى**) سنة 1908م، (**ملاحظة حول الاثنوغرافيا في الصحراء الوسطى**)و(**مدفعية الجمال**) وكذا (**تيديكلت**) عام

1909م وهو موضوع دراستنا، تفرد فيه بتقديم دراسة شاملة عن الإقليم وقصوره بداية بعاصمة واحاته عين صالح وصولا الى واحات حاضرة أقبلي.(**Voinot, 1909, p. 2**)

إضافة الى هذا فقد اصدر عام 1913م تقرير يحمل عنوان(**عبر الصحراء وعبر إفريقيا**) وآخر بمسمى (**المسالة عبر إفريقيا**)مابين 1919م-1920م ،كما كتب ونشر العديد من الدراسات حول المسائل المتعلقة بالحدود المغربية وخمسة كُتيبات عن الجغرافيا الطبيعية والبشرية لجنوب المغرب الأقصى.(**Voinot, 1909, p. 2**)

توفي الضابط والاثنوغرافي لويس فوانو في مدينة نيس الفرنسية يوم 20 يوليو 1960 عن عمر ناهز 91 عامًا،(**Voinot, 1909, p. 2**) بعدما قدم أعمالا عسكرية وعلمية جليلة للسلطة الاستعمارية بخصوص الصحراء.

2. دواعي التأليف وظروفه عند فوانو:

لم تكن الجزائر بشساعتها أرضا معروفة في عمقها بالنسبة للفرنسيين خاصة المناطق الصحراوية، رغم أن الاهتمام باحتلالها كان منذ عهد نابليون بونابرت ومع فرض النظام المدني انطلاقا من سنة1870م تم تكثيف عمليات الاستكشاف نحو الداخل خاصة بعد انحصار الانتفاضات الشعبية وانخفاض حدتها، والملاحظ أن هؤلاء لم يكتفوا بكتابة تقارير عن رحلاتهم بل دونُوها في كُتب تضمنت مختلف الملاحظات التي لفتت انتباههم وحظيت باهتمامهم ،كما تضمنت معلومات تفصيلية عن حياة ونشاط الشعب الجزائري. (**بن قبي، 2018، صفحة 118**)

وهو ما يصب في قالب الدراسات التاريخية الأنتروبولوجية للاستعمار على الجزائر والتي أخذت أصناف تبعاً لاختلاف فتراتها والتطور المرحلي للوجود الاستعماري؛ أي استخدام العلم لتسهيل مهمة السيطرة وكبح جِماح أي محاولة لمنعه أو مقاومته.

ليس بعيد عن هذا ولان سلسلة واحات إقليم تيديكلت وعموم توات اعتبرتها السلطة الاستعمارية حتى عام 1900م اخطر عقبة أمام توسعها نحو الجنوب ما جعلها تدرك ان الاحتلال العسكري يجب ان تصحبه معرفة بالخصائص الجغرافية للأرض والأنماط الثقافية والاجتماعية والدينية المهيمنة على الأوساط الشعبية الجزائرية، فكان العسكريون الفرنسيون هم الأوائل الذين خاضوا حقل الدراسة الانثروبولوجية بالجزائر؛ باعتبارها تقدم رؤية شاملة ودقيقة

للواقع الذي يعيش فيه الإنسان يصطلح عليها اسم الدراسات العسكرية أثناء الاستعمار. **(أوراغي، د.س، صفحة 17)**

وهي النوع الثاني في هذا الحقل خضعت لها الصحراء على وجه الخصوص؛ فاغلب البعثات نحو توات كانت من ضباط عسكريين ركزوا على المعرفة المعمقة للمنطقة من كل الجوانب نظرا لأهميتها أشهرهم الضابط "دو كولومب" ، "دوماس " و فوانو وغيرهم.

وهذا بالتعرف على المحيط الواسع والمجهول؛ باستكشاف المظاهر الجغرافية والمناخية ودراسة المجموعات السكانية وأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بهدف استغلالها مستقبلا لخدمة المشروع الاستعماري (**طاهري ،بوسعيد، 2020، صفحة 313**).

بعد تخلي فوانو عن واجباته العسكرية لفترة، سعى إلى وصف جغرافية تيديكلت ومواردها المائية التي أفضت الى كثافة سكانية غير عادية في الصحراء، سرعان ما تحولت هذه الكتابات إلى مراجع للسلطات الفرنسية تعرفت من خلالها بشكل مفصل على حياة هؤلاء هناك وطرق عيشهم وهو ما يمكنها من التحكم فيهم أكثر، ويسهل لها عملية إدماجهم في منظومتها الاستعمارية على حد اعتقادها.

إضافة إلى أن دراسة التاريخ القديم لأي لمنطقة من الوسائل الملائمة و المهمة لمواجهة سكانها من جهة ولتحديد أسلوب التعامل معهم بعد الغزو من جهة أخرى، وهو ما أكده الضابط فوانو بنفسه خلال ستينيات القرن الماضي في حوار له مع صحيفة فرنسية ؛ إذ يتذكر جيدا كيف كان شكل التدخل الفرنسي على واحات تيديكلت وبمشاركة منه –قوة عسكرية– والتغييرات التي حدثت بعد ذلك الغزو نتيجةً لفضوله العلمي الكبير لمعرفة جوانب حياة هؤلاء، (Voinot, 1909, p. 3) فلم يفلت شيء من نظرة الضابط والاثنوغرافي؛ فهو يعلم أن معرفة الآخرين وخاصة تاريخهم وأعرافهم وعاداتهم هو أضمن ضمان للاحترام المتبادل، وأفضل سبيل لرسم إستراتيجية مستقبلية بعيدة المدى للسيطرة والاحتواء وهو ما حدث بالفعل.

لذلك تبدو دراسته عن تيديكلت بمثابة اختبار ناجح لاستكشاف الروابط المنسوجة بين تاريخ السكان وجغرافية بلدهم فقد كان مراقبا يقظا دعم عمله هذا بتضمين سلسلة من اللوحات والصور والخرائط الرئيسية مما يتيح للقارئ تحديد الأماكن المذكورة بسهولة فهو بمثابة عمل مرجعي

متعدد المهام. ووسيلة مهمة لتعريف المستوطنين بمختف مناطق الوطن وما تزخر به ومن ثم إعانتهم على تحديد أماكن استقرارهم. (**بن قبي، 2018، صفحة 118**)

كما يجب أن لا نغفل عن أهمية وإستراتيجية المنطقة وهو ما زاد من احتدام الصراع بين القوى العظمى حولها لوضع خطط مستقبلية على غرار بريطانيا المنافس الشرس لفرنسا وكذا ألمانيا ما جر الفرنسيين إلى المغامرة، وهو ما عبر عنه وزير الحربية الفرنسي مارشال سولت بقوله: ((**لا يجب إهمال الصحراء الجزائرية وذلك لما تقدمه لنا من ثروة والتي تعطي لنا بُعداً ضرورياً سياسياً وتجارياً، ويجب أن يَسود حُكمنَا فيها...حيث لا يمكن فتح علاقات تجارية من داخل إفريقيا إلا عن طريق السيطرة والهيمنة**)). (**سعد الله، 1982، صفحة 35**)

ويتبين ذلك أيضاً من خلال عرض فوانو في مقدمة كتابه:((.. **المستكشفين الأوروبيين الذين سبقت محاولاتهم للمنطقة**))؛ (Voinot, 1909, p. 81) لأهميتها بدء بعاصمة واحاتها عين صالح التي مثلت عبر تاريخها الطويل مفترق للطرق التجارية ومحطة للقوافل عبر كامل الاتجاهات وصولا إلى واحات أقبلي(**3**) المحطة الأولى والأخيرة على خط سير القوافل الذاهبة والآيبة من الشمال اتجاه السودان الغربي وهو ما كان يؤرق السلطة الفرنسية.

ومن بين أولئك الرائد الانجليزي جوردون لينج؛ الذي اعتبره فوانو أول أوروبي وصل إلى تيديكلت وأكد على أهميتها قائلا أنها كانت:((**سنة 1825م ومن ثم اتجه إلى تنبكتو عبر أقبلي، غير أنه تم اغتياله في طريق عودته لذلك لم تسفر رحلته عن نتيجة**))(**Voinot, 1909, p. 85**) خصوصا ما تعلق باقبلي وأحوالها آنذاك.

تبعتها رحلة الألماني جيرهارد رولفس"Rohlfs" وصل هو الأخر لعاصمة تيديكلت سنة 1864م متنكراً في زيي طبيب تركي، زار قصور تيديكلت عدا أقبلي التي أخّرَها لرحلته نحو تنبكتو لكن لم يحدث شيء من ذلك بعد اكتشاف أمره.ليُكثفَ الفرنسيون بعدها رحلاتهم بأمر من جهات رسمية خوفا من استحواذ غيرهم على القارة؛ بدء ببول سولييه 1874م لكنه هو الأخر لم يتوغل نحو اقبلي وتوقف بقصور عين صالح.(**Voinot, 1909, p. 85**)

تبعه بالات"Palat " وبعده كاميل دوس"Douls" الذي أراد عام 1888م تجديد محاولة بالات لاختراق منطقة تيديكلت والوصول الى تمبكتو حاملاً اسم الحاج عبد المالك، لكن

تم خنقه قبل وصوله الى أقبلي على بعد 15 كلم قرب حاسي إيليغن(**4**) من طرف أدلاء من قبيلة انطاتن تنتمي لطوارق الهقار. (**بلعالم، 2015، صفحة 7**)

لم تمنع الإخفاقات المتتالية لبالات وكاميل السيد فورو"Foureau"من توجيه جهوده نحو عين صالح مابين 1890م-1892م لكنه لم يتجاوزها، لتغلق معه قائمة الاستكشافات السلمية، ذلك أن بعثة فلامون سنة 1899م التي تقدم ذكرها والضابط فوانو كان ضمنها تحولت إلى حملة عسكرية أخضعت كل واحات تيديكلت لسلطة المحتل مطلع القرن 20م بما فيها أقبلي أواخر مارس 1900م، واتخذت من عين صالح مركزا للقيادة العسكرية لجنوب الجزائر. (طاهري ،بوسعيد، 2020، صفحة 319)، فاغلب الحملات كانت في مستوى تطلعات الإدارة الفرنسية وما عددها إلا دليل على الحرص الشديد لبسط النفوذ الفرنسي على الإقليم وفي وقت قياسي وبأقل جهد وتكلفة.

فإن كان هناك ما لم يحققه فلآمون علميا في بعثته بعد تحولها إلى حملة عسكرية، فان فوانو بمفرده قد حقق لها الجانب العلمي الذي انطلقت من اجله في رحلة تجوال دامت ست سنوات وهو ما استفادت منه فرنسا لتثبيت وجودها بالمنطقة.

3. اقبلي في كتاب تيديكلت:

3-1جغرافيا:

تعرض الضابط فوانو في وصفه للخصائص الجغرافية لتيديكلت الى جملة من الإفادات بخصوص منطقة أقبلي بدءاً بطبيعة السطح واهم مظاهره التضاريسية، المناخ والغطاء النباتي وأخيراً الهيدروغرافيا.

أشار لطبيعة السطح في عموم تيديكلت قائلا بأنها: ((**بلد مسطح بشكل موحد تقريبا باستثناء حدوده، يأخذ شكل سهل رملي شاسع**))،**(Voinot, 1909, p. 9)** يتخلله الرق الذي يتكون عادة من الحصى على طبقة صلبة من الأرض، ما يجعل المشي فيه سهلا يصطلح عليه أهل المنطقة عندما يكون خاليا من الغطاء النباتي اسم "الحدب، وقد نوه الى وجود انهيارات أرضية ذات أهمية والوحيدة بالإقليم تقع على بعد 3كلم من اقبلي يصطلح عليها اسم"أولاد محمود" وأخرى تدعى "ضروس الكلب" ".**(Voinot, 1909, p. 9)**

أما الكثبان الرملية ذكر السلسلة الموجودة حول تيط والتي تنتهي شمال أقبلي بجوار عرق القارة ergs el Keraa وتين بيوضنTin Beyodin لا يتجاوز ارتفاعها 30 متر وللرياح دوراً كبير في تشكل معالمها بشكل منتظم، واعتبر فوانو عملية إيقاف الرمال والتصدي لها آنذاك أمر مستحيل وصعب للغاية خصوصا في المزارع نظرا لعودتها من جديد وبسرعة كبيرة بسبب الرياح التي تهب بشكل مستمرا تقريباً. **(Voinot, 1909, p. 11)** خصوصا على واحات أقبلي والى يومنا هذا إذ اعتبرنا أن هبوبها يحدث من جميع الاتجاهات.

أما المناخ ذكر بان الهواء مقفر في عموم تيديكلت يمتاز بالجفاف الشديد؛ شتاؤه بارد متوسط درجة حرارته القصوى 20 درجة وأدناها 5 درجات، صيفه حار متوسط الحد الأقصى لدرجة حرارته 45 درجة وأدناها 25 درجة، والرياح ذكر أنها عنيفة جداً ومحملة بالرمال وأحيانا تجتاح المنطقة لعدة أيام متتالية غير أنها تكتسب هدوء أثناء الليل، وتأكيداً على شدة الرياح أشار فوانو إلى أن عملية صيانة الآبار باقبلي لا تتم في معظم الأحيان بسبب الرياح المتكررة غير ان أماكنها معروفة لدى القاطنة ما يُسهل عميلة استعادتها عند الحاجة إليها. **(Voinot, 1909, p. 13)**

ولان الغطاء النباتي يتبع المناخ أشار فوانو إلى وجود غابة تبلغ مساحتها 200الف هكتار توجد في منطقة ضحلة المياه يصطلح عليها محليا اسم (**النّبعْ**)ما أسهم في كثافة النبات نسبيا رغم الجفاف الذي يميز عموم الإقليم، تنمو بها بعض النباتات الصغيرة المتفرقة عن بعضها البعض، تعاني أجزاء منها للاضمحلال بسبب الجفاف المستمر وزحف الرمال، لكن أفضل منطقة بها للتزود بالنباتات هي التي تقع بين منخفض اينغر و تيط وأقبلي؛ لأن المياه هناك وفيرة وذات نوعية جيدة. (**Voinot, 1909, p. 53**) وهو ما تحدثت عنه المصادر المحلية إذ مثلت ولفترة طويلة مورد هام ومرعى رئيسي لإبل وأغنام القبائل الأولى التي توطنت باقبلي وباقي واحات المنطقة وكذا القوافل الصحراوية العابرة طريق الجنوب وهو ما يوحي بكثافة غطائها النباتي من قبل.

ولاحظ ان النخيل في مقدمة الأصناف النباتية نظرا لكون التمور الغذاء الرئيسي لأهل تيديكلت، وحدد بعض الأصناف الأخرى التي توجد بالإقليم بشكل عام؛ أبرزها الدمران الذي يزهر شتاءً (شهر ابريل)،الطرفة، الفرسيق، الدرين، اقايا وهي شجرة غير محببة لدى الحمير من شانها ان تجعلها مريضة ،و ازوي لإنتاج الحطب الممتاز ولصنع مقابض الفأس والعصي واستخراج

القطران لعلاج الجرب عند الإبل ويصنع منه أيضا الفحم النباتي ،كما يوجد العشب في البُور شمال أقبلي والعديد من أشجار النخيل هناك.(**Voinot, 1909, p. 23**) جامعاً في وصفه بين الأنواع وابرز خصائصها واستخداماتها.

يشكل الماء العامل الأول الذي ساهم في توطن الإنسان بالصحراء، فرغم المناخ القاسي والجدب وعدم انتظام الأمطار بل وانعدامها لسنوات متتالية خصوصا في المنطقة الوسطى والجنوبية إلا ان المياه الجوفية الوفيرة أكسبتها الحياة، (**مياسي، 1996، صفحة 21**) إذ كان وصف فوانو لتيديكلت أنها:((**تبدو لمن يقترب منها لأول مرة ان الحياة مستبعدة فيها، غير ان منسوب المياه الجوفية الوفير سمح للتجمعات بالاستقرار في بعض نقاطها.**))**(Voinot, 1909, p. 17)**

لهذا تناول في دراسته جانب المياه بشيء من الإسهاب وكذا التفصيل؛ واضعاً جداول تخص أهم الآبار آنذاك الموجودة على خط الطريق بين أقبلي وغيرها من المناطق بأسمائها ومواقعها وحالة الماء فيها من حيث العمق ونوعيته ونسبة الملوحة وملاحظات أخرى، فقد تحدث عن وجود(13)بئراً على طول المنحدر بين أقبلي و اينغر بدءً بعين بوبكر الحاج (ذكر بأنه جف ماؤه) ،حاسي فراجي، تاغليفت(به الماء)،حاسي تيرجا (تارقا)، القطارة(تقع عند سفح الجرف)، أولاد الحاج، بابا احمد، كردوا، عين ملال(ذكر أنها جيدة وتقع على المنحدر الشمالي لكدية بيرجا)، تيطاوين، برزات(جوهري)، مونكل، وأخيراً عوينة زاوية)(**Voinot, 1909, p. 17**)

وهو ما يبرز ويثبت لنا القرب الجغرافي بين واحات أقبلي واينغر ووجود طريق مباشر يربطهما ساهم في تقريب الواحات من بعضها. وتوجد 9 مصادر مياه أخرى على جرف تيديكلت الجنوبي بين أقبلي وأولف من بينها حاسي قصر آق حميمو(إلليغن) جميعها ذات نوعية جيدة قليلة الملوحة حفرت على مستوى ضحل.(**Voinot, 1909, p. 19**) وعموم مياه ناحية أقبلي جيدة ووفيرة على حد قوله وهو ما ذهب إليه هنري بيسيلBissuel قبله لما تناول ناحية أقبلي.(**Bissuel, 1891, p. 140**)

ثم عرج بعدها إلى إعطاء شرح مفصل عن الفقارة وكيفية إنشائها وتموقعها في أماكن معينة دون غيرها حيث قال:((**وبعمق يتراوح بين 10و20 مترا يحفر السكان كل 5 إلى 10 أمتار الآبار...يمكن تمييزها على سطح الأرض بخط من التلال الصغيرة، إذا اختفت بعض هذه التلال لسبب أو لآخر يصبح معرفة مكان البئر أمرًا شديد الخطورة**))، مشيرا الى انه نادرا ما تتم تنحية الرمال عن

الآبار باقبلي.**(Voinot, 1909, p. 20)** أما تدفق المياه بها قدره بحوالي 36 مترًا مكعبًا في الدقيقة ومتوسط درجة حرارته 2 درجة مئوية، واستطاع فوانو ان يصور أداة توزيع مياه الفقارة (الشقفة) الخاصة بأحد قصور اقبلي.

3-2: تاريخيا

أشار فوانو إلى أن قصور تيديكلت لم ترد في كتابات المؤلفين المتقدمين من العرب كابن بطوطة وابن خلدون اللذان أسهبا الحديث عن توات الوسطى وقورارة في القرن 14م دون غيره، واستمر الأمر مع من جاء بعدهم كالأسد الافريقي-حسن الوازن- نظرا لاعتمادهم على ما كتبه أوائل المؤرخين، هذا الغياب في الكتابات القديمة أعازه فوانو الى ان تيديكلت لم تشهد استقرار وازدهار إلا في فترة متأخرة جداً عن قورارة وتوات الوسطى، لذلك لم تجذب قراها الناشئة انتباه المسافرين في بداياتها.

وهو ما ذهب إليه عديد المستكشفين الفرنسيين قبل الضابط فوانو ك**هنري بيسيل (Bissuel)** و**ادوارد كات(Cat)** وغيرهم، وهذا نظرا للطابع البدوي لساكنتها وقلة عددهم وكثرة ترحالهم، فلم يستقروا إلا في فترات متأخرة وهو ما يترجمه النشاط الغالب لديهم آنذاك (تجار أو أدلاء للقوافل).**(Bissuel, 1891, p. 44)**، **(Cat, 1892, p. 43)**

ضف الى ذلك الانتعاش الكبير لمسلك القوافل مع السودان الغربي الواقع غرب تيديكلت أكثر من الطريق الذي يمر بها رغم قدمه هو الأخر خصوصا الطريق الوسط الذي تعتبر أقبلي أخر محطة له.

من هذا المنطلق اهتم فوانو في كتابه بالجانب التاريخي لتيديكلت إذ لا يمكن معرفة واقع السكان دون الاطلاع على ماضيهم، افرد له فصلاً كاملاً نالت فيه منطقة أقبلي حظاً وافراً لجملة من الأسباب على خلاف باقي قصور الإقليم؛ أين وجد صعوبة في إعادة تشكيل تاريخها بشكل مؤكد نظراً لشح الوثائق المكتوبة واعتماده على كبار السن وفي بعض الأحيان المعاصرين للحدث ما جعل الاستنتاجات غير متطابقة دائما وهو ما افقد الحقائق الوضوح والدقة.

إن ملاقاة الضابط فوانو بشخصية القاضي الشيخ حمزة القبلاوي(**5**) يفسر لنا إسهابه في إعطاء لمحة تاريخية عن قصور أقبلي بنفس درجة عاصمة الإقليم-عين صالح-إذ اعتبره من أفضل

أعلام المنطقة بل والباحث الوحيد في البلاد الذي يمكنه أن يحدد الأحداث بتواريخها واصفا إياه بالذكاء الحاد، لهذا اتخذ وثائقه كأساس في عمله خصوصا المتعلقة بمراحل استقرار السكان باقبلي والجهات التي نزحوا منها وظروف تشكيل وحدتهم وأسماء القصور وتواريخ إنشائها ونحوه. فرغبة المستعمر في استمالة أعيان الصحراء من استراتيجياته للتعرف بشكل كامل على البنية الاجتماعية والدينية والنفسية لسكانه وعاداته وتقاليده وتاريخه السياسي والحضاري وغيرها، (كعوان، د،س، صفحة 2)حتى تكون على اطلاع تام بالوسط المجتاح وهو ما جسده فوانو بأقبلي وعموم تيديكلت.

استعان الاثنوغرافي لويس فوانو بالكابتن Simon وChardenetوالمترجم الضابط Rimbaud لجمع أكبر قدر من المعلومات عن المنطقة ومن ثم مقارنتها ببعضها وتصنيفها وإخضاع تقويمها الهجري إلى الغريغوري لضبط الأحداث وفقاً للتقويم الأوروبي وتسهيل مهمة استيعابها.

وعن أولى قصور أقبلي من حيث النشأة ذكر قصر المنصور؛ اعتبره أقدم من قصر أولف و تيط المجاوران لاقبلي، تأسس سنة 1230م من قِبل قبيلة طارقيه غير معروفة بالقرب من حاسي دابدر، **(Voinot, 1909, p. 50)**وهو الاسم الذي عرفت به البلدة ككل نسبة لأول بئر حُفر بها، بعده تأسس قصر أترام سنة 1235م لم يبقى منه سوى الخراب يقع أسفل أشجار النخيل لقصر عرق شاش، تبعه قصر ساهل القديم عام 1255م (وجده خراب)، ومن ناحية شماله قليلا (قرابة 2كلم) قصر **تاكوزة**(محليا تنطق تْكُوزة) تأسس في نفس الوقت تقريبًا معه دُمر هو الأخر ولم يعد سوى خراب، أما قصر عرق شاش فأنشئ سنة 1273م من قِبل أولاد ميخاف قادمَين من تافيلالا.**(Voinot, 1909, p. 50)** ويبدو ان فوانو لم يكتفي بالإخبار وإنما عاين مواقع القصور بأكملها فما ذكره عن مواقعها مطابق لما تبقى من أثارها حاليا بعدما قمنا بمعاينة ميدانية لها.

في غضون قرابة 50 سنة (1230-1273م)عرفت أقبلي نشأة 5 قصور؛ بعضها لم يعد سوى أطلال قديمة نظراً لان توات كانت إقليم مفتوح أمام هجرات القبائل في ظروف وفترات متعددة من الفتح الإسلامي للمغرب العربي وحتى ق18م بعد أن استقروا في المدن والقصور التي بنوها جميعها، (**حساني، 2006-2007، صفحة 11**) ومن ابرز القبائل التي توطنت باقبلي ذكر فوانو عرب الواسطة أو الوسط" أولاد أمسيرين" (قادمين من الشمال)، "أولاد

إسماعيل" (ذكر أن أصلهم غير معروف)، "أولاد ميخاف" من تافيلالا بالمغرب وغيرهم معتمداً على تقارير الإخبار المحلية .

فالقصور الوحيدة التي استطاع تحديد وذكر ترتيب نشأتها هي قصور اقبلي، جل أسمائها توحي بأنها بربرية، باعتبار أن البربر هم أول من طرقوا بلاد تيديكلت لذا كانت اغلب أسماء بلدان ونخيل المنطقة بربرية (**جعفري ،بعثمان، 2020، صفحة 313**) أما باقي واحات تيديكلت فقد اعترف بأنه يستحيل تحديد ترتيب لها خصوصا قصور أولف. نوها بعدها الى قصور أقبلي مطلع القرن العشرين والقبائل التي تسكنها وهي ثلاث واحات؛ إلى الغرب قصر ساهل قرب القصر القديم الذي يحمل نفس الاسم، من ناحيته الشرقية قصر عرق شاش والمنصور، ثم قصر زاوية الشيخ أبي نعامة بالجنوب الشرقي.

أما القبائل فهي كثيرة أبرزها قبيلة كنته التي قدمت للمنطقة 1749م بقدوم مؤسس الزاوية سيدي محمد بن عبد الرحمن أبي نعامة، وقبيلة فلان قائلا :((..**تكونت بقدوم الجد عبد المالك الفلاني مؤسس قرية ساهل الحالية سنة 1779م، وهي قبيلة لها عدة فروع في عديد مناطق السودان الغربي**(**Voinot, 1909, p. 63**))).

أما باقي القبائل الأخرى فهي قبيلة سِطّافْ من طوارق الآزجر، الأمسيرين، الأنصار، الطوارق من آدرار، الشرفة بعرق شاش (قدموا من تافيلالا)المرابطين من أولاد سيدي محمد **(Voinot, 1909, p. 64)**.وبدو أقبلي ممن يخيمون بأهنت ويأتون في الخريف بالقرب من الواحة، من بينهم قبيلة السكاكنة والموازيل والكناكات، اشتغلوا كأدلاء للقوافل المتجهة نحو آدرار وتمبكتو والسودان شأنهم في ذلك شأن قبيلة أولاد زنان التي استقر جزء منها(فرع أولاد بات لله)بقصر عرق شاش، إذ وصفهم بالمدمنين على التجارة. **(Voinot, 1909, p. 37)**يأتي هذا تزامننا وتحول أقبلي إلى رأس خط القوافل المتجهة نحو الجنوب وهو ما جذب القبائل نحوها للتوطن.

فالعديد من الأشخاص القادمين من تافيلالا وقورارة وتوات اختلطوا بالقبائل الموجودة هناك؛ فقصور أقبلي ضمت فئة العرب والبربر والحراطين.**(Voinot, 1909, p. 57)** تفاعلت هذه الفئات فيما بينها وأصبحت لديها عادات وتقاليد وقيم اجتماعية وخلقية ثابتة وموحدة بسبب الدين الإسلامي الذي جمعها. (**حساني، 2006–2007، صفحة 8**)

وعن التاريخ السياسي اهتم فوانو كثيرا بالحروب والغارات وفترات أللاستقرار والفوضى التي عرفتها المنطقة كخطوة أولى لإثبات الفراغ السياسي بالإقليم منذ فترة طويلة، ومدى الاستقرار الذي فرضته الإدارة الاستعمارية بعد تمركزها. من ذلك التي كانت تتعرض لها قصور اقبلي بشكل متكرر وكذا القوافل التجارية؛ كحال الحرب الطويلة بين قصر الشارف أقدم قصر باولف وسكان قصر عرق شاش باقبلي حيث قال:" **وعندما قُتل أحدهم، لم تكن هناك هدنة حتى قتلوا ستة عشر رجلاً من عرق شاش**" كان هذا قبل 1716م.

في عام 1807م نهب البربر اقبلي وقتلوا العديد من السكان بزاوية الشيخ أبي نعامة ليتم عقد السلم معهم إلا أنهم عاودوا الكرة سنة 1810م و قاموا بنهب قصر عرق شاش بالكامل، وبعدها بعامين أي سنة 1812 تعرض سكان أقبلي مرة أخرى للنهب على أيدي قبيلة الخنافسة ولم يتركوا لهم ما يكفيهم من الغذاء(**Voinot, 1909, p. 72**) وغيرها من الهجمات التي تعرضت لها أقبلي.

هذه المناوشات بين القبائل ما هي إلا نتيجة لإثبات الوجود أو لتضارب المصالح أو بغرض إقامة تحالفات مختلفة، (**فرج، 2007، صفحة 37**) ولوقوع اقبلي على طريق خط القوافل من جهة وكونها نقطة استقرار مهمة بالنسبة للقبائل المجاورة لها والتي تعيش على الإغارة والسطو من جهة أخرى. وبهذا قدمت لنا دراسته صورة جلية عن الوضع السياسي الذي كان سائدا في المناطق الصحراوية قديما والذي كان سببا في عدم التأريخ لها في نظرنا.

وعن مرحلة ما قبل الدخول الفرنسي خضعت تيديكلت سياسيا لباشا تيمي ولم تكن تدفع له أي رسوم ثابتة، كما لم يقم باي إعادة لتنظيم الإقليم، وفي سنة 1893م أشار فوانو الى ان السلطان المغربي مولاي الحسن أرسل إلى الشيخ حمزة القبلاوي برنوسا مملوءا بالعقيق قصد منحه منصب القاضي.(**Voinot, 1909, p. 87**)

ان شخص القاضي ساعد على الاستقرار والتنظيم الاجتماعي، فالقضاء بعموم بتوات يعد أعلى سلطة قضائية يتمتع فيها القاضي باحترام الجميع نظرا لان القضاة المعينين من أشهر العلماء وقتها ونظرا لما يحتويه المنصب من أمور دينية وسياسية فكان يُعين من طرف السلطان (المغربي) أي بموافقته الشكلية نظرا لعامل الارتباط الديني والثقافي والتجارة وقربها من المغرب الأقصى. (**حساني، 2006-2007، صفحة 11**)

لكن السؤال المطروح:هل الشيخ حمزة القبلاوي حصل على تزكية من سلطان المغرب؟ أم ان هدية السلطان جاءت بعد تنصيبه كقاضي على ناحية تيديكلت بإيعاز من شيوخ توات؟

بفضل منصب قاضي القضاة اتسمت حاضرة أقبلي وما جاورها من قصور تيديكلت بالاستقرار الأمني؛ فلم يعد لها ما تخشاه من الأعداء رغم تعرضها بين الفينة والأخرى لهجمات الطوارق بالإضافة إلى بعدها عن السيطرة الفرنسية.

تحدث فوانو عن خضوع الإقليم وقصوره للاحتلال الفرنسي بشي من الفخر؛ وكيف أن معركة اينغر أسحقت المقاومة تماماً، فدمار القصبتين آثار الذعر والخوف في نفوس الجميع ما سمح لهم بإقامة جولة نحو تيط واقبلي وأولف بسلاسة، مقدماً المجتمع تقديماً جافاً واصفاً إياه بالجمود والسلبية والاستسلام؛ من ذلك ما كتب عن ساكنة أقبلي حينها أنهم :((**كانوا مذعورين البعض منهم اختبئ في الفقارة لما علم بقدوم القوة الفرنسية ظناً منهم أن ساعتهم الأخيرة قد حانت!**)) واصفاً عملية إخضاع هذه القصور أنها: ((**تمت بسلام..**))(**Voinot, 1909, p. 95**) ، مزوراً بهذا للواقع متجاهلاً ثقل الخسائر البشرية التي ألحقها سلاح المدفعية بقيادته على واحات اينغر حوالي 600شهيد (صلاح الدين، د.س، صفحة 29) وكيف أثرت تأثيرا كبيرا على باقي القصور المجاورة لها؛ إذ لم يكن لهم خيار سوى حفظ ما تبقى من النفوس بعد فقد عديد أبنائهم في معارك الإقليم على غرار أبناء أقبلي الذين شاركوا في ملحمتي الدغامشة واينغر قاطعين الأميال لصد العدوان على إخوانهم وتأكيد وحدة الصف، وقائمة شهدائهم في هذه المعارك دليل على هذا.

وما ردة فعل بعض أهل المنطقة آنذاك (اللجوء إلى الفقارة والاختباء)إلا انعكاس للظروف التاريخية والسياسية التي أحاطت بهم من الغارات والمناوشات القبْلية وليست دليلاً على عدم اصطدام أهلها يوما بالأجانب وهي التي تمثل محطة عبور للقوافل التجارية، لكن هول معارك اينغر وما سمعه الأهالي عنها جعلهم يخشون المستدمر المتفوق عسكرياً وبالتالي ردة فعلهم ما هي إلا انعكاس للواقع الذي فرضه المستعمر عليهم بالقوة.

والمتتبع لكتابه يجد نظرة الاستعلاء والسخرية من السكان حاضرة؛ وهي ميزة الاستعمار الذي يدعي نشر الحضارة ومع ذلك فقد استعان بالأهالي لإتمام مهامه. فكتابات فوانو وغيره

من المستكشفين مكملة للمصادر المحلية لتناولها أحداث داخلية ونشاطات اقتصادية وعلاقات اجتماعية ودقتها في تناول مختلف الجوانب الحضارية. (**حساني، 2006–2007، صفحة 4**)

3–3: اقتصاديا

لم يفصل الضابط فوانو بشكل كبير في الجانب الاقتصادي لمنطقة اقبلي على عكس عاصمة واحات الإقليم عين صالح نظرا لأهميتها في الفترات المتأخرة ، غير أننا يمكن ان نستقي من خلال ما كتبه عرضيا حول الإقليم ما تعلق منه باقبلي؛ منتجاتها الزراعية، نشاطها الفلاحي، مقدراتها الطبيعية وكذا المبادلات التجارية واهم السلع وابرز المتعاملين مع ساكنتها.

ترتكز الزراعة في الصحراء على النخيل لما يقدمه لساكنة المنطقة من تمور تمثل الغذاء الأساسي تختلف باختلاف أشجارها؛ ذكر بان هناك عديد الأصناف يأتي في مقدمتها تمر "تيناقور" ،"تقازة"و"وتزرزاي".**(Voinot, 1909, p. 24)** وهي أنواع لها القدرة على البقاء لمدة أطول، قدم لنا بعض أنواعها لا من حيث الحجم والشكل إنما تبعاً لأسمائها وبلغة المنطقة، وفي ذات السياق أعطى أرقام مفصلة عن متوسط ما تنتجه النخلة في العام الواحد منوهاً الى ان تمور تيديكلت متوسطة الجودة.

أما الثروة الحيوانية أشار ان سكان اقبلي يمتلكون كغيرهم من القصور الإبل بشكل رئيسي باعتبار أنها وسيلة النقل الوحيدة مع بعض الحمير والماعز وكذا الأغنام وعدد قليل من الدجاج الصغير و طائر الحمام داخل القصور، وعن الإبل فهي ترعى لوحدها في الغابة شرق أقبلي، أما الأغنام والماعز فالقليل من يرعى هناك لان شجيرات الغابة غير مناسبة لهم، لذا يتم إطعامهم بشكل أساسي من التمور الرديئة ونوى التمر بعد سحقه (العلف). **(Voinot, 1909, p. 27)**،

وعن المقدرات الطبيعية فالضابط على اثر جولاته أكد عن وجود بعض الثروات والمواد المعدنية الصالحة للاستخدام باقبلي مثل الطمّلة (Thomela) التي وضح ماهيتها وكيفية استخدامها قائلا:((**عبارة عن كبريتات الحديد غير النقية، تستخدم لصبغ الجلد باللون الأسود توجد في طبقات الصخر الزيتي لا نعرف سوى رواسب واحدة تقع في الجرف جنوب اقبلي، فهو نادر، يتم استخراجه بضرب الصخر الزيتي بالحصاة من أجل كسرها ... ثم تفرز الطمّلة من الشوائب بعدها يتم سحقها ثم ترطيبها بالماء وتشكيل كرات لتجميعه**)).(**Voinot, 1909, p. 36**) ،

أشار كذلك لحجر الشب، والكربوني فيريان مؤكداً ان غوتييه"M. Gautier" قد أبلغ عنهما قبله وهو يوجد في منخفض اينغر وحول اقبلي، وكذا الملح إذ اعتبر ملاحة عين صالح الواقعة شرق اقسطن(فرسيق) أكثر قيمة من غيرها.**(Voinot, 1909, p. 36)** أحصى أربعة أنواع من المعادن توجد ناحية اقبلي بعضها يستغل وتتفرد به دون غيرها من مناطق الإقليم .

وعن الصناعة والتجارة ورد في كتاب الضابط العبارة الآتية: ((**التجارة والصناعة في اقبلي ليست الشيء الكبير، لكن الحركة التجارية موجودة**...))**(Voinot, 1909, p. 37)** نميز من خلال ما تعرض له فوانو بين نوعين من المبادلات التجارية التي ربطت واحات أقبلي بغيرها من الأقطار؛ مبادلات داخلية وأخرى خارجية، فالأولى اغلبها كان يتم مع قبائل الطوارق كقبيلة تايتوق بأهنت وقبيلة ايفوغاس بآدرار، وهو ما انفردت به أقبلي وأولف على عكس عين صالح التي تتعامل مع قبائل الهقار؛ إذ يجلب هؤلاء لساكنة أقبلي الأغنام و اللحم المدخن (يحفظ في وعاء من جلد الثور يدعى اغاغور) ،**(Voinot, 1909, p. 147)** تتم مقايضته بالتمور.

حيث ذكر بأنهم يشترون الكثير: ((**مابين 50 إلى 100 جمل محملة ب311طن من التمور سنة 1904م في حين لا تتعدى الجمال المحملة بالسلع لاقبلي واحد أو اثنان**..)) (Voinot, 1909, p. 33) في أسواق خاصة إضافة إلى السلع القطنية وغيرها من الأشياء المصنعة بواحات ومدن الجزائر، فالطريق الرئيسي للاتصال والربط بين مناطق الصحراء هذه والأكثر شيوعاً هو الذي ينطلق من أقبلي الى عين طانيةTi-n-Tenai .

ذُكر هذا البئر في رحلة ابن هيبة الله الى بلاد السودان منذ سنة 1849م (كعوان، د.س، صفحة 4)ويوصل إلى أهنت ومن ثم آدرار وتمبكتو بالسودان الغربي ، وهو الطريق الذي تحدثت عنه المصادر العربية والأجنبية، إذ عرفَ ازدهاراً خلال القرن 19م؛ فكان من أفضل المسالك المؤدية إلى بلاد السودان وهذا لتوفره على عديد المزايا الطبيعية والتجارية وكذا الأمنية. **(Bissuel, 1891, p. 46)**

شكلت التجارة مع السودان الغربي الجزء الثاني من المبادلات عبر الصحراء؛ إذ اعتبر إقليم توات ككل همزة وصل بين دول شمال الصحراء وجنوبها خاصة المراكز الحضارية الموجودة في السودان الغربي، وقد شكلت التجارة إحدى وسائل الاتصال المربحة بينه وبين إفريقيا جنوب الصحراء (**جنيدي، 2018، صفحة 37**) فقوافل التجار المحملة بمختلف البضائع والقادمة من مختلف

الجهات اتخذت من أقبلي باعتبارها مرحلة حتمية من مراحل سيرها من والى أسواق تمبكتو محطة نزول وتجمع كبير اصطلح عليه اسم "**أكابار**"، ويبدو أن فوانو كان على اطلاع مسبق به لكونه تحدث عن أكابار قادم من السودان عبر أقبلي يتكون من بضع جمال فقط بعدما كان يضم مئات الجمال(**Voinot, 1909, p. 38**) ما يعني تراجع حجم التجارة بشكل كبير، متجاهلاً الحركة الاستعمارية الأوروبية والتهافت على خيرات القارة واستخدام الطريق الغربي لإفريقيا عبر سواحل الأطلسي أسهم في إضعاف التجارة البينية الصحراوية على فترات.

تحدث فوانو أيضا عن طريقة المعاملات والتي في الغالب كانت تتم بالمقايضة علاوة على وجود عملات معدنية وفضية بعضها من المغرب وأخرى أوروبية فرنسية مثل الدور Douro'sو boutirs. وحتى من مناطق بعيدة، وهو ما شجع على المقايضة واستعمال مواد محددة كعملة للتبادل ومن أهم العملات نجد: المثقال من الذهب مقداره في توات 4،50 غ (**حامد لمين، 2016، صفحة 272**) أما بالنسبة للأوزان فذكر أنها في عموم تيديكلت تتم بأدوات اغلبها بدائية الصنع كالميزان الذي قال أنه: ((**يتكون من سلتين معلقتين بخيوط من غصن النخيل تستخدم فيه الأحجار للقياس.**)).**(Voinot, 1909, p. 145)**

تجدر الإشارة إلى أن فوانو تفحص المكاييل والموازين بأحجامها المعروفة والمضبوطة عبر كامل تيديكلت منها القصعة(طبق خشبي به 12 ازقن أي ما يعادل 2،5كلغ)لكيل الحبوب والتمور، الازقن وهو إناء صغير للكيل وجده في أقبلي يبلغ حوالي 0،360كلغ وهو الأكثر حجم إذا ما قورن بباقي مناطق الإقليم التي يتراوح فيها حجم الازقن بين 0،175الى0،270 كلغ.**(Voinot, 1909, p. 146)** أي فارق كبير بينها.فقيمة بعض أدوات الكيل موحدة من حيث الأسماء لا الأحجام، فالقيمة تتغير من منطقة لأخرى وأوزان أخرى ذكرها كالمثقال وحدة قياس الذهب تزن 4،5غرام.

الشيء نفسه بالنسبة لأدوات القياس ذكر أنها متعددة حسب المراد قياسه أبرزها الذراع و البيصة لقياس الأقمشة وهي قطعة كتان حدد طولها ب 40 ذراعا، أما الذراع وحدة للطول يقدر ب50سم (حامد لمين، 2016، الصفحات 270-280)، والطول بغصن النخيل بوحدة قياس تسمى الكواما أو الكوالا.**(Voinot, 1909, p. 145)**

3-4:اجتماعيا

استفاض فوانو الحديث عن عادات وتقاليد سكان أقبلي على العكس من الجانب الثقافي؛ فالاستعمار كان دوما في حاجة إلى معرفة خصائص الشعوب التي وقعت تحت نيره لاستغلالها لخدمته بعد نجاحه في مد النفوذ، وهذا بتسليط ضوء البحث على كل ما هو مجهول في الأنماط الحياتية والفكرية والعقائدية، وهذا بالتنقيب الميداني لإماطة اللثام عن كنه الشعب وخصوصياته، بغية تقديم صورة واضحة المعالم عنه حتى تسهل عملية انقياده وتطويعه. فالمستعمر لم يجد من يصلح لهذه المهمة في الصحراء سوى أفراد الجيش الذين أنجزوا عمل السوسيولوجيين والمؤرخين واللسانيين. (أوراغي، د.س، صفحة 14) إذ حرص هؤلاء على معايشة السكان ومساءلتهم للتمكن من معرفتهم معرفة عميقة خصوصا مواطن الضعف بحكم التعايش والاحتكاك عن قرب وهذا لرسم السياسة المناسبة للتعامل معهم.

وصف الوضع العام للسكان بتيديكلت بما فيهم اقبلي بأنهم يعيشون حالة البؤس إلى حد ما، غذائهم ما تنتجه بساتينهم من تمور وخضروات مع تربية القليل من الدجاج وطائر الحمام، وجزء آخر يتم استيراده من الشمال مثل السكر، القهوة، الشاي، الحمص وغيره و يزودهم الطوارق باللحم المدخن والأغنام والماعز والجبن الجاف (تيكمارين)والدهون وكذا الإبل منوها الى غذاء الفقراء قائلا:((**فالفقراء يأكلون التمر في الغالب وعندما يقتل حيوان لا تضيع قطعة واحدة يذهب الجياع إلى حد أكل الجلود القديمة**)) .**(Voinot, 1909, p. 116)**

وتعرض لمختلف الأنشطة اليومية المعتادة كتحضير الطعام وكيفية إعداد النساء له خطوة بخطوة وأنواع الأطعمة ومكوناتها مثل الكسرة، الكسكسى الناعم، المردود، المردوف، عصيدة الشعير وغيرها من الأطعمة، كما تعرض للباس عموم سكان تيديكلت رجالا ونساء بأنه فضفاض يشبه ملابس السودان لا العرب، مميزاً بين فئتين من حيث اللباس؛ الفقراء لهم سروال رديء وقماش ازرق وخرقة بالية على رؤوسهم ونعال من لب النخيل وعباية، أما الأشخاص ذو الحظ الجيد فيلبسون سروال قطني ازرق ونعال وعدة عبايات فوق بعضها. **(Voinot, 1909, p. 113)** لم يستثني من ذلك الأطفال ولباسهم وحلقات شعورهم المختلفة لدرء العين أو لتتناسب مع حاملها على حد تعبيره، أما النساء فقد استرسل الحديث عن لباسهن وتصفيفة شعورهن

وكيف أنهن يستخدمن الزباد لدهنه ما يساهم في تكتل الرمل على رؤوسهن وبالتالي مساعدة الطفيليات على النشوء، ومجوهراتهن وبأسمائها المحلية مشيرا إلى أنها متنوعة غير أنها ليست بالثمينة جدا وقد ذكر بان لباسهن يُغسل باستخدام الطين الأبيض وانه نادرا ما يتم غسله مثل ملابس الرجال مضيفا عبارة:((**ليست لديهم أدنى فكرة عن النظافة**)).**(Voinot, 1909, p. 114)**

وعن التركيبة الاجتماعية تكونت أقبلي من مزيج من السكان تجمعهم عوامل كثيرة كالدين واللغة والمصير المشترك كما ان العصبية تحافظ على الجنس في حد ذاته، من بين القبائل التي ذكر بأنها قطنت أقبلي؛ قبيلة كنته، فلان، سطاف، الطوارق، الحراثين، الأنصار، البدو وغيرهم. وعلى الرغم من التنافر الذي كانت تعيشه القبائل كانت عوامل الوحدة كثيرة التي حافظت على تماسكهم في منطقة معزولة وقاحلة ومن بينها عامل الدين واللغة والقوافل التجارية وأثرها على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والفكرية بالإضافة الى التناسق الاجتماعي الموجود والمصلحة المشتركة من الناحية الاقتصادية كالترحال بحثا عن الكلأ او تبادل البضائع التجارية (**حساني، 2006–2007، صفحة 3**)

وتحدث فوانو عن بعض عادات المجتمع القبلاوي المتعلقة بالأفراح كوجود نوع من الرقص شبه الديني يسمى ب(الجلالة) :((**يكون فيه مدح طويل على الرسول عليه الصلاة والسلام تصحبه حركات يشكل فيه المغنون صفين متقابلين عند نهاية الأغنية تتسارع الحركة....**)) (**Voinot, 1909, p. 147**)متناسياً ان المنطقة منبعا للعلم ومركز إشعاع حضاري امتدت أثاره الى مناطق عديدة من الصحراء.

إن ما كتبه فوانو حول توزيع السكان في أقبلي آنذاك لم يكن على أساس المناطق أو النواحي بل على أساس عرقي؛ حيث ركز على الاثنيات العرقية للمجتمع وهذا الوصف هو نفسه الذي دأبت المدرسة الكولونيالية الفرنسية على تكريسه حتى ترسخ لفكرة **فرق تسُد**، كما انه لم يتعرض البتة إلى التقسيم الوظيفي مثل التجار والصناع والطلبة .

3–5:ثقافيا

ذكر احد مهندسي الدراسات الأنتروبولوجية العسكرية متحدثا عن أهمية الخوض في الثقافة المحلية لأي شعب بأنه:((**ينبغي الاستيلاء على روح هذا الشعب قبل الاستيلاء على جسده**)) (**أوراغي، د.س**)وهذا لتسهيل انقياده.

ورد في كتاب فوانو عن مدارس تيديكلت أنها:((**عديدة جداً يُديرها الطُلبة، دائما ما يقومون بالتدريس في الهواء الطلق ، في كل مدرسة طالب يساعده مراقب أو اثنان في مهمة التدريس... يجلسون على الأرض**))**(Voinot, 1909, p. 126)** لم يحدد لها عدد تقريبي أو دقيق، وفي موضع آخر حدد عددها سنة 1902م ب43 مدرسة عبر كامل تيديكلت؛ منها 14 يرتادها الأولاد والفتيات صِغار السن على السواء وهي لعموم أبناء المنطقة،**(Voinot, 1909, p. 76)** فإحصاء أكثر من 40 مدرسة إشارة كافية لمعرفة المستوى التعليمي بالمنطقة.

نستشف من عرضه المختصر للجانب التعليمي نقطتين بخصوص واحات أقبلي؛ الأولى عن كيفية التدريس وأوقاته ومصادر تمويل المدرس (الطالب)؛ حيث أعطى شرحاً مهماً قال فيه:((**التلاميذ لديهم ألواح صغيرة يكتبونها ويمسح الحبر بغسل اللوح من الطين الأبيض**)) ويضيف أيضا عن طريقة تعلمهم:((..**يردد التلاميذ دون أن يعرفوا كيف يقرئون الجملة التي أملاها عليهم الطالب؛ يصرخون جميعًا في الجزء العلوي من أصواتهم نغماتهم مختلفة، ما أدى إلى نشاز رهيب**))، وفي موضع أخر تحدث عن التدرج في التعلم قائلا:((**بمجرد أن يعرف التلاميذ عددًا كافيًا من الجمل من الذاكرة، يتم تعليمهم تتبع الأحرف وكتابة أسمائهم**)).**(Voinot, 1909, p. 127)** أما عن فترات الدراسة فهي كل يوم صباحاً ومساءاً عدا مساء يوم الأربعاء والخميس وصباح يوم الجمعة فهي عطلة أسبوعية للجميع، مع ذكره كل عطل الدراسة خلال السنة، هذا و شبه بعض مصادر ضمان الدخل المادي للطلّبَة بالتي كانت بمدارس الريف ببلاده قديما على غرار تولي الأطفال المتمدرسين مهمة جلب الماء والحطب للمدرس، أما الهدايا المالية الصغيرة تقدم للطالب مرتين في السنة تماشيا والأعياد الدينية (الفضيلة) وأخرى عينية خاصة موسم الحصاد.

أما الثانية تخص زاوية أبي نعامة الكنتي مطلع القرن العشرين ذكر بان مُريديها جزءاً منهم ينتمون للطريقة القادرية والجزء الآخر ينتمون للطريقة أللمطية المعروفة بتافيلالا، منوهاً إلى أنها عرفت ازدهار في زمن سيدي لبيد ولد سيدي عزيزي ولد سيد الحبيب ولد سيدي محمد أبي نعامة المؤسس، أين كان يتردد عليها كل القادمون للتجارة مع أقبلي، غير أنها منذ ذلك الحين تراجع دورها و أسيئت إدارتها بدل الحفاظ عليها من طرف خليفة سيد لبيد ابنه بونعامة، هذا الأخير

الذي قدم مصالحه الشخصية على مصالح الزاوية ما جعل تأثيره الشخصي معدوماً في تسيير شؤونها.**(Voinot, 1909, p. 63)**

ويبدو أن ما ذهب إليه فوانو يتوافق وما ذكره هنري بيسيل Bissuel قبله (1891م) خصوصا حول الزاوية البونعامية باعتبارها أهم قصر من بين قصور أقبلي السبعة آنذاك، وانتماء أتباعها للطريقة القادرية وكذا الطيبية ودورها كمحطة رئيسية للقوافل المتجهة نحو تنبكتو. **(Bissuel, 1891, p. 139)**

إن انطباعات فوانو ومساعديه عن الوضع الثقافي بأقبلي جاء بشيء من الأحكام والآراء السطحية التي لا تعكس الواقع الحقيقي للبلدة. فما كان سطحي عند الأهالي كان كافيا لهم لتفسير الأمور وتقديم صورة حسبوها مكتملة المعالم حول حياة هذا لشعب وأنماطه السلوكية والاعتقادية حسبهم. (**أوراغي، د.س، صفحة 15**) حيث لخصه في تلك الحلقة التي يديرها المدرس أو الطالب مع الصغار لتعليمهم القران يحملون اللوح ويحفظون آياته، فارتياد الأطفال المدارس القرآنية وارتفاع عدد هذه الأخيرة إشارة منه لوجود تعليم حقيقي بأطواره ومستوياته يُزاول وسط المساجد والزوايا بإشراف علماء أعلام ومشايخ كبار، قَصدهم القاصي والداني للنهل من علومهم وهو ما تستفيض المصادر المحلية في ذكره على رأسهم آنذاك الشيخ حمزة القبلاوي؛ الذي كان منارة للعلم، بغض النظر عن تلامذته من أقبلي ومن خارجها.

شيء آخر يمكن أن نستشفه من النظرة العامة للتعليم بتيديكلت أن فوانو اعتمد في حكمه على ما شاهده بأقبلي بل وصور احد هذه الحلقات التحفيظية للصغار، ما يشير إلى أن الزائر لاقبلي آنذاك ذاك ما يمكن أن يلاحظه للوهلة الأولى، وهي إشارة ضمنية على مدى الاهتمام الكبير بالعلم وتدريسه خاصة علوم القرآن.

وكان تعرضه لزاوية أبي نعامة الكنتي وتأثيرها والمشرف عليها والطريقة الصوفية المتعبة له خلفيات كثيرة؛ على رأسها اعتبار الغرب الطريقة القادرية–التي مثلت زاوية أبي نعامة فرع لها– اكبر خطر أمام المد ألتنصيري. ذلك ان انتشارها في الصحراء كان له الأثر الكبير في المحافظة على الكيان ونشر تعاليم الدين الإسلامي ويعود لها الفضل في نشر الإسلام في إفريقيا الوسطى، فلما استفاق الغرب لخطر هاته الطرق الصوفية بدأ بإرسال رجال الدين لنشر المسيحية. (**حساني، 2006–2007، صفحة 16**)

وعلاوة على الدور التجاري لحاضرة أقبلي كانت مقصد للعلماء وطلبة العلم زاويتها محط لركب الحجيج من توات وبلاد التكرور؛ بها تستريح القوافل بعد قطعها لمسافة تنزروفت، هاته الأمور أغفلها فوانو واختصرها في مدرسة قرآنية لأطفال تعالت أصواتهم وتداخلات وهم يتلون الآيات من دون فهمها حسب تعبيره.

هذا التهميش للجانب الحضاري لأقبلي خاصة وللإقليم عامة مرده النظرة الاستعلائية ومحاولة الانتقاص من كل ما من شانه أن يرفع من قيمة المنطقة وشان سكانها باعتبارهم مسلمين، ضف إلى ذلك أن فوانو رجل حرب لم يكن هناك ما يحثه على الاجتهاد والتعمق كثيرا في مظاهر الثقافة والحضارة الإسلامية .

خاتمة:

ان التقارير والمصادر الفرنسية التي كتبت عن منطقة اقبلي كثيرة ومتعددة انتقينا منها ما كتبه الضابط لويس فوانو مطلع القرن 20م في كتابه المعنون ب"تيديكلت" وخلصنا الى الآتي:

- ✓ ضمن الضابط فوانو كتابه نظرة شاملة وترجمة للحياة الاجتماعية والاقتصادية نظرا لأهمية منطقة أقبلي الإستراتيجية، والتي اعتبرت قاعدة لكتابات من جاء بعده من الفرنسيين.
- ✓ اعتمدت دراسته على المشاهدة والمعاينة الميدانية وكذا استعانته بالمعرفة التاريخية المحلية لتغطية الحقب المتقدمة من تاريخ المنطقة؛ حيث قدم لنا صورة دقيقة للأوضاع السياسية التي كانت سائدة في اقبلي والمناطق الصحراوية المتاخمة له،كما أن ذكره لعديد الأشياء التي تحدث عنها بمسمياتها المحلية دليل آخر على ذلك.
- ✓ الكتاب يحمل بين ثناياه نظرت الكاتب الخاصة التي لم تكن بريئة بعض الأحيان ما يحتاج منا تمحيص لما قدمه لنفض غبار التعتيم والنظرة الأحادية الاستعلائية؛ فهو قدمه كما يريد لا كما هو واقع الحال سيما الوضع الثقافي الذي من شانه أن يبرز الدور التاريخي والمحوري لحاضرة أقبلي .

- ✓ إن الأسلوب الغير مباشر في الطعن ما هو إلا تبرير أخلاقي لعملية الغزو من طرف ضابط عسكري لوث يديه بدماء أبناء الإقليم قبل أن يُعد تقاريره، لكن هذا لا ينقص من أهميتها؛ إذ لا يمكن للباحث في تاريخ تيديكلت الاستغناء عن مؤلفاته والاستفادة مما تحمله مع قراءة ما بين السطور والتمحيص والتدقيق فهي تحتاج الى دراسة نقدية وتحقيق شامل لها من شانه أن يغربل الحقائق عن معزل من توجهات الكاتب.

الإحالات:

(1) تمتد تيدكلت من مدينة أولف الى مدينة فقارة الزوى بدائرة عين صالح شرقا فهي تقع في الجهة الشرقية لمدينة رقان أي عند سفح صخري مرتفع من هضبة تدمايت. و تتكون من مجموعة من القصور موزعة على سطح منبسط قليل التلال، وتعتبر مدينة عين صالح او(تدكلت الشرقية)العاصمة التاريخية للمنطقة قديما. (سعيدان، 2005، صفحة 19)

(2)وردت في تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات بمسمى "حاسي لحجر اقسطن" وهي من قصور مقاطعة عين صالح تقع في شمالها الشرقي تبعد عنها بحوالي 30 كلم، ، تتضمن مجموعة اقسطن : أسول، مليانة، الساهلة الفوقانية، والتحتانية، حاسي لحجار... شهدت أولى معارك الإقليم (الفقيقيرة يوم 28 ديسمبر 1899م)بقيادة المهدي باجودة الذي سقط شهيدا رفقة 55 آخرون وعدد من الجرحى والأسرى، وهو ما مكن قوات المحتل من اجتياح عين صالح في اليوم الموالي. (المطبعة الملكية، 1962، صفحة 10)،(ROHLFS, (1861-1864), p. 30) (مياسي، 1996، صفحة 78)

(3): أصل تسمية أقبلي هناك من رجح اشتقاقها الى كونها قبلة للعلم ومنهم من يرى أنها سميت نسبة لرياح القبلي التي تهب على المنطقة، و هي رياح حارة تحمل معها الأتربة، اصطلح عليها قديما بـ "دابدر نسبة الى اول قصر الذي أسس سنة 652هـ (1230م). تقع جنوب شرق مدينة أولف، تبعد عن عين صالح بحوالي 150كلم، تتربع على مساحة قدرها 2033كلم مربع، شكلت قديما محطة عبور وتجمع رئيسية وآمنة للقوافل الصحراوية المتجهة نحو وسط السودان(تمبكتو)، عرفت حركية علمية مابين القرنين 12 و13هـ (18و19م) أي مع استقرار شيخ الركب النبوي بها سنة 1749م وتأسيسه لزاويته وإشرافه على وفد الحجيج القادمين من توات و تيديكلت وبلاد التكرور.تراجعت الحياة الثقافية بها مع الدخول الفرنسي أواخر مارس 1900م.

(4):اسم بئر يعود للرجل التقي سيدي أق حميمو، وهو ينحدر من منطقة تيقيدت باولف الشرفة قام بحفر البئر وبناء القصر ليتوسط المسافة بين أولف واقبلي التي تبلغ 35كلم ،وكموضع استراحة لكل مسافر لم يرغب في قطعها جملة واحدة، حفر الفقارة وغرس النخيل وبنا البيوت، اصطلح عليه اسم قصر إيليغن او قصر أق حميمو الذي دفن هناك، يرجح انه تم بناءه بداية او منتصف القرن 14م.حسبما ورد لدى فوانو بان الضابط مارتن نوها لصحيفة مكتوبة عثر عليها بتيديكلت يقال فيها: (إنه في عام 1378م جاء عرب من طنجة إلى الصحراء في رحلة استكشافية وصلوا قصر إيليغن).تم التخلي عن القصر تدريجيا قبل قدوم فوانو سنة 1900م بقرنين على الأقل، كما ان كاميل دولس لقي حتفه بذات الموضع سنة 1888م.(Voinot, 1909, p. 59)

(5) هو حمزة بن احمد بن محمد بن مالك ولد سنة 1259هـ بساهل بلدية اقبلي، دخل الكتاب القرآني في سن مبكر حفظ القران الكريم وتبحر في علومه، لازم المشايخ الذين كانوا آنذاك من والده الشيخ احمد إلى العلامة المختار بن سيد احمد العالم حتى تضلع في العلوم وأصبح من الأعلام بتوات؛ نافذ الكلمة، تولى التدريس وقصده الطلبة من كل ناحية كما كان مفتيا و قاضيا بنواحي توات فكانت ترده عليه المسائل المعضلة من توات و ازواد ، قام بمجهودات كبيرة وناجحة في سبيل النصح للأمراء و القضاة والأعيان في عدة نواحي، عاصر الاحتلال الفرنسي لتيديكلت. توفي سنة 1335هـ بساهل أقبلي. (بلعالم، 2015، صفحة 269،261)

قائمة المصادر والمراجع:

Édouard Cat .(1892) .A travers le désert .paris: Librairie gedalge.

Gerard ROHLFS .((1864-1861)) .voyageset exploraion sahara .

Henri Bissuel .(1891) .LE Sahara français conférence sur la question saharienne .Alger: Adolphe Jordan librairie.

Louis Voinot .(1909) .le Tidikelt étude sur la géographie l'histoire, les mœurs du pays.

حامد لمين ابراهيم. (2016). الحركة التجارية بين اقليم توات والسودان الغربي خلال القرنين 18 و19م. مجلة روافد للبحوث والدراسات .

مياسي إبراهيم . (1996). توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري1881-1912. الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد.

سعد الله ابو القاسم . (1982). محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث وبداية الاحتلال. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

أوراغي أحمد. (د.س). الانثروبولوجيا والاستعمار-قراءة في صورة الجزائرية في المؤلفات الانثروبولوجية الاستعمارية.

مريوش احمد. (2005). التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهقار 1916. مجلة المصادر .

التومي سعيدان. (2005). سكان تيديكلت القدماء والاتكال على النفس (المجلد ط1). الجزائر: دار هومه.

المطبعة الملكية. (1962). تقييد ما اشتمل عليه اقليم توات من الايالة السعيدة من القصور ووثائق اخرى. الرباط.

جعفري، بعثمان امحمد، عبد الرحمن. (2020). طرق القوافل التجارية العابرة ان صالح خلال القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة والمستكشفين. مجلة عصور الجديدة ، م10.

رحلة بن هيبة الله. (بلا تاريخ).

جنيدي عبد الحميد. (2018). اقليم توات واهميته في التجارة الصحراوية. المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية .

طاهري، بوسعيد عبد المالك، أحمد. (2020). الرحالة والستكشفون الفرنسيون في توات خلال ق19 ودورهم في احتلال المنطقة. عصور الجديدة ، م10.

عثماني حساني. (2006-2007). جامعة الجزائر، الجزائر: كلية العلوم الانسانية والاجتماعية.

عثماني حساني. (2006-2007). (المشرف: بن يوسف التلمساني، المترجمون) جامعة الجزائر: كلية العلوم الانسانية والاجتماعية.

بن قيي عيسى . (جويلية, 2018). انطباعات حول مدينة المسيلة من خلال الرحالة الاوروبيين في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. القرطاس .

كعوان فارس. (د,س). الاستشراق الفرنسي والتراث التواتي قراءة فيرحلة عبد القادر بن ابيبكر التواتي بن هيبة الله. الصفحات 1-7.

فرج محمود فرج. (2007). إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين(دراسة لاوضاع الإقليم السياسية والاجتماعية والاقتصادية و الثقافية). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

بلعالم محمد باي. (2015). الرحلة العلية الى منطقة توات لذكر بعض الاعلام والاثار والمخطوطات والعادات وام يربط توات من الجهات. الجزائر: المعرفة الدولية.

محمد صلاح الدين. (د.س). ./in-rhar'http://aufildesmotsetdelhistoire.unb...bat-d تم الاسترداد من معارك اينغر.